حديث عبد الله بن مسعود ﷺ : كنا يوم بدر كل ثلاثة على بعير رواية ودراية

د . عبد الرحمن بن محمد بن غنيم الحازمي
الأستاذ المساعد بجامعة شقراء – كلية التربية بعفيف

ملخص

تناولت في هذا البحث حديثًا من أحاديث النبي ﷺ ، ألا وهو (كنا يوم بدر كل ثلاثة على بعير ...) الحديث، وقد قسمته إلى مقدمة وثلاثة فصول وخاتمة ، تكلمت في الفصل الأول عن الحديث من ناحية الرواية ، فذكرت تخريجه، وترجمة رواته ، والحكم عليه ، وفي الفصل الثاني تكلمت عن الحديث من ناحية الدراية ، فبينت الألفاظ الغريبة الواردة في الحديث، ومسألة هل كان أبو لبابة مع النبي ﷺ في غزوة بدر ، وجملة من المسائل الفقهية المتعلقة بالحديث ، وفي الفصل الثالث ذكرت جملة من الفوائد المستنبطة من الحديث ، فذكرت بعض صفاته ﷺ ، وبعض صفات صحابته ﷺ ، وبعض الفوائد التربوية، والعامة ، ثم ختمت البحث ببعض النتائج التي توصلت إليها .

Abstract

In this research, I dealt with one of the Prophet's sayings "Ahadith" (peace be upon him). This Hadith is " We were on Badr Day when every three persons were riding on one camel … " So I divided this Hadith into an introduction, three chapters and a conclusion. In the first chapter, I mentioned the narration of this Hadith, the name of whoever compiled or classified this hadith , the biography of its narrators and its verification. In the second chapter, I dealt with the knowing of this Hadith showing any unfamiliar words, discussed the question (issue) of whether Abu Lubaabah was with the Prophet (peace be upon him) in Badr Battle or not and a number of jurisprudence issues related to this Hadith. In the third chapter, I mentioned a number of benefits derived from this Hadith such as : some of the qualities of the Prophet (peace be upon him), some of the qualities of the Prophet's companions and some general and educational benefits. And then in the conclusion, I stated some research findings.

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأن محمداً عبده ورسوله ﷺ ، أما بعد ،،،

من أهم المهمات التي ينبغي لطلاب العلم الشرعي الاهتمام بها ، العناية بسنة النبي ﷺ ونشرها بين الناس لحاجة الناس إليها في كل زمان ومكان .

والسنة النبوية تعد منهج حياة لكل الخلق ، ولو رجع المسلمون إلى سنة نبيهم ﷺ ، ودرسوها بتأمل وتروي ، وطبقوها في واقعهم ، لعاشوا حياة سعيدة .

من أجل هذا ، أحببت أن أشارك في دراسة حديث من أحاديث النبي ﷺ ، واستخراج ما فيه من فوائد وحكم ، فوقع الاختيار على حديث عبد الله بن مسعود ﷺ قال : كُنَّا يَوْمَ بَدْرٍ كُلُّ ثَلَاثَةٍ عَلَى بَعِيرٍ، وَكَانَ أَبُو لُبَابَةَ وَعَلِيٌّ زَمِيلَيْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، فَكَانَ إِذَا كَانَتْ عُقْبَةُ النَّبِيِّ ﷺ قَالَا: ارْكَبْ حَتَّى نَمْشِيَ عَنْكَ ، فَيَقُولُ: (مَا أَنْتُمَا بِأَقْوَى عَلَى الْمَشْيِ مِنِّي، وَمَا أَنَا أَغْنَى عَنِ الْأَجْرِ مِنْكُمَا) .

أهمية البحث :

1- يقدم هذا البحث جملة من صفات النبي ﷺ .
2- يظهر هذا البحث جانبًا من صفات الصحابة ﷺ .

3- يقدم هذا البحث بعض الفوئد التي يحتاجها الدعاة .

4- يعطي هذا البحث جملة من القواعد العامة .

5- في حدود علم الباحث لم يسبق أن تناولت دراسة هذا الحديث رواية ودراية .

6- يعد هذا البحث مشاركة من الباحث في نشر سنة النبي ﷺ بين الناس .

حدود البحث :

اقتصرت في هذا البحث على حديث عبد الله بن مسعود ﷺ السابق ، مبينا ما فيه من مسائل وفوائد .

منهج العمل في البحث :

1- جمعت طرق حديث عبد الله بن مسعود ﷺ .

2- خرجت الحديث من كتب السنة المعتمدة .

3- ذكرت ما حصل من اختلاف في ألفاظ الحديث .

4- درست حال الرجال الذين عليهم مدار الحديث .

5- حكمت على الحديث .

6- بينت الكلمات الغريبة الواردة في الحديث .

7- جمعت المسائل الفقهية المستنبطة من هذا الحديث .

8- ذكرت الفوائد المستنبطة من هذا الحديث .

المبحث الأول : صفاته ﷺ : جهاده، تواضعه، عدله، زهده، قوته، حرصه على تحصيل الأجر، افتقاره لربه ، مشاركته لأصحابه، ترتيبه لأصحابه، لطفه في الحديث مع أصحابه .

المبحث الثاني : صفات الصحابة ﷺ : محبتهم للنبي ﷺ، جهادهم، تواضعهم، زهدهم، طلبهم للأجر، استجابتهم لترتيب النبي ﷺ، بعدهم عن الجدل وسكوتهم عند وضوح الحجة .

المبحث الثالث : الدروس التربوية المستفادة من الحديث : الداعية القدوة ، مشاركة المتربين في العمل ، حرص الداعية على طلب الأجر ، الجهاد والأمور الكبيرة لا تشغل الداعية عما دونها من أعمال الخير .

المبحث الرابع : قواعد عامة : لا إيثار في القربات ، أمور الدنيا مبنية على التكامل بين الناس وأمور الآخرة مبنية على التنافس ، أن الركوب لا ينافي الزهد والتقلل من الدنيا ، أن المشي فيه مزيد أجر لزيادة مشقته على الركوب ، جواز إخبار الإنسان عما يجد في نفسه من القوة والعلم ونحوهما عند الحاجة .

وأما الخاتمة فذكرت فيها أهم النتائج التي توصلت إليهامن خلال هذا البحث .

ووضعت للبحث فهرسًا للمصادر والمراجع ، وللموضوعات.

والله أسأل أن يتقبل هذا البحث ، وأن يجعله خالصاً لوجهه الكريم ، وأن ينفع به عباده ، إنه ولي ذلك والقادر عليه ، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا .

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ ﷺ قَالَ : كُنَّا يَوْمَ بَدْرٍ كُلُّ ثَلَاثَةٍ عَلَى بَعِيرٍ ، وَكَانَ أَبُو لُبَابَةَ وَعَلِيٌّ زَمِيلَيْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، فَكَانَ إِذَا كَانَتْ عُقْبَةُ النَّبِيِّ ﷺ قَالَا: ارْكَبْ حَتَّى نَمْشِيَ عَنْكَ ، فَيَقُولُ: (مَا أَنْتُمَا بِأَقْوَى عَلَى الْمَشْيِ مِنِّي، وَمَا أَنَا أَغْنَى عَنِ الْأَجْرِ مِنْكُمَا) .

الفصل الأول

الحديث رواية ، وفيه مباحث : المبحث الأول

تخريج الحديث

أخرجه الإمام أحمد عن عفان[1] ، وعبد الصمد[2] ، وإسحاق بن عيسى وحسن بن موسى[3]، وأبي كامل[4] ، وأخرجه أبو داود الطيالسي[5] — ومن طريقه البيهقي[6] — ، وابن سعد[7]، وابن أبي شيبة[8]، كلاهما عن يونس بن محمد المُؤَدِّب ، والحارث بن أبي أسامة[9] — ومن طريقه أبو نعيم[10] — عن الحسن بن موسى ، وأخرجه البزار[11]، والنسائي[12] ، كلاهما من طريق عبد الرحمن بن مهدي ، وأبو يعلى[13] من طريق عفان ، والشاشي[14] من طريق حجاج بن المنهال ، وابن حبان[15] من طريق أبي الوليد الطيالسي ، والحاكم — وعنه البيهقي[16] — من طريق روح بن عبادة[17]، وأبي الوليد الطيالسي[18] ، وأخرجه البغوي[19] ، والضياء المقدسي[20]، كلاهما من طريق عفان، وعزاه ابن حجر في فتح الباري للطبري[21] .

جميعهم عن حماد بن سلمة، عن عاصم بن بهدلة، عن زر بن حبيش، عن ابن مسعود ﷺ .

جاء من طريق إسحاق بن عيسى وحسن بن موسى : كنا في غزوة بدر .

وجاء من طريق عبد الرحمن بن مهدي وعبد الصمد : كانوا يوم بدر .

وعند ابن حبان : أنهم كانوا يوم بدر بين كل ثلاثة بعير .

وعند الحاكم من طريق روح : كنا يوم بدر نتعاقب ثلاثة على بعير .

وجاء في رواية عبد الصمد : بين كل ثلاثة نفر بعير .

وعند أبي داود الطيالسي : وَكَانَ إِذَا حَانَتْ عُقْبَتُهُمَا قَالَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ ارْكَبْ نَمْشِ عَنْكَ فَقَالَ: (إِنَّكُمَا لَسْتُمَا بِأَقْوَى عَلَى الْمَشْيِ مِنِّي ، وَلَا أَرْغَبَ عَنِ الْأَجْرِ مِنْكُمَا) .

وعند الشاشي : قالا: إِنْ رَكِبْتَ حَتَّى نَمْشِيَ عَنْكَ ؟ .

و لم يذكر عفان في روايته : ارْكَبْ .

قال البزار:" وهذا الحديث لا نعلم رواه عن عاصم، عن زر، عن عبد الله إلا حماد بن سلمة ".

المبحث الثاني : ترجمة رجال الحديث وبيان حالهم

ظهر مما سبق أن مدار الحديث على حماد بن سلمة الذي يرويه عن عاصم عن زر عن ابن مسعود ﷺ ، وترجمتهم على النحو التالي :

حماد بن سلمة بن دينار البصري[22] ، أبو سلمة ، مولى تميم ، ويقال : مولى قريش ، وقيل غير ذلك ، وهو ابن أخت حميد الطويل ، وثقه أحمد ، وابن معين ، والعجلي ، والنسائي ، وغيرهم، وقال الساجي : كان حافظًا ثقة مأمونًا، وقال ابن المديني : لم يكن في أصحاب ثابت أثبت منه، وقال البيهقي : هو أحد أئمة المسلمين، إلا أنه لما كبر ساء حفظه، فلذا تركه البخاري وقال ابن حجر : ثقه عابد ، أثبت الناس في ثابت ، وتغير حفظه بأخرة ، من كبار الثامنة، مات سنة سبع وستين ، قال عبد الله بن أحمد : حدثني أبو خيثمة، قال: سمعت يحي بن سعيد يقول: من أراد أن يكتب حديث حماد بن سلمه فعليه بعفان بن مسلم، وقال النسائي: أثبت أصحاب حماد بن سلمة ابن مهدي، وابن المبارك، وعبد الوهاب الثقفي.

عاصم بن بهدلة[23] ، وهو ابن أبي النَّجود – بنون وجيم – الأسدي مولاهم ، الكوفي ، أبو بكر المقرىء، قال ابن سعد : كان ثقة إلا أنه كان كثير الخطأ في حديثه، وقال أحمد : كان رجلًا صالحًا قارئًا للقرآن ، وكان خيرًا ثقة والأعمش أحفظ منه، وقال ابن معين : ثقة لا بأس به، وهو من نظراء الأعمش ، والأعمش أثبت منه، وقال العجلي : كان صاحب سنة وقراءة ، وكان ثقة رأسًا في القراءة، وقال يعقوب بن سفيان : في حديثه اضطراب ، وهو ثقة، وقال أبو حاتم : محله عندي محل الصدق صالح الحديث ، وليس محله أن يقال هو ثقة، و لم يكن بالحافظ، وقال أبو زرعة : ثقة، وقال ابن علية : كل من اسمه عاصم سيء الحفظ، وقال النسائي : ليس به بأس، وقال ابن خراش : في حديثه نكرة، وقال العقيلي : لم يكن فيه إلا سوء الحفظ، وقال الدارقطني : في حفظه شيء، وقال أبو بكر البزار: لم يكن بالحافظ ، ولا نعلم أحدًا ترك حديثه على ذلك ، وهو مشهور، وقال ابن قانع : قال حماد بن سلمة : خلط عاصم في آخر عمره ، قلت : و لم يُذكر حماد بن سلمة ممن سمع منه بعد الاختلاط، وذكره ابن حبان وابن شاهين في الثقات، وقال الذهبي : صدوق ، وقال أيضًا : وهو في الحديث دون الثبت ، صدوق يهم، وقال ابن رجب : كان حفظه سيئًا ، وحديثه خاصة عن زر وأبي وائل مضطرب ، كان يحدث بالحديث تارة عن زر، وتارة عن أبي وائل، وقال ابن حجر : صدوق له أوهام ، حجة في القراءة، وحديثه في الصحيحين مقرون ، من السادسة ، مات سنة ثمان وعشرين .

زِرّ – بكسر أوله وتشديد الراء – هو ابن حبيش – بمهملة وموحدة ومعجمة مصغر – ابن حُباشة[24] – بضم المهملة بعدها موحدة ثم معجمة – الأسدي ، الكوفي ، أبو مريم، قال ابن معين ، والعجلي : ثقة، وقال ابن سعد : كان ثقة كثير الحديث، وقال أبو جعفر البغدادي قلت لأحمد : فزر وعلقمة والأسود ؟ قال : هؤلاء أصحاب ابن مسعود وهم الثبت فيه، وقال ابن حجر : ثقة جليل مخضرم ، من الثانية ، مات سنة إحدى أو اثنتين أو ثلاث وثمانين وهو ابن مائة وسبع وعشرين سنة .

المبحث الثالث : الحكم على الحديث

إسناده حسن ، فيه عاصم بن بهدلة صدوق .

والحديث صححه ابن حبان كما سبق في التخريج

وقال الحاكم : " هذا حديث صحيح على شرط مسلم و لم يخرجاه "[25] ، وسكت عنه الذهبي ، وقال أيضًا : " هذا حديث صحيح الإسناد و لم يخرجاه "[26] .

وحسن إسناده الهيثمي حيث قال : " وفيه عاصم بن بهدلة، وحديثه حسن ، وبقية رجال أحمد رجال الصحيح "[27] ، وحسنه الألباني[28] ، وجود إسناده ابن حجر[29] .

الفصل الثاني

الحديث دراية ، وفيه مباحث : المبحث الأول

بيان الألفاظ الغريبة الواردة في الحديث

كُنَّا : أي أصحاب النبي ﷺ .

يَوْمَ بَدْرٍ : أي في غزوة بدر .

كُلُّ ثَلَاثَةٍ : أي من الرجال .

عَلَى بَعِيرٍ : أي نتعاقب ونتناوب على ركوبه .

أَبُو لُبَابَةَ : ابن عبد المنذر الأنصاري ، مختلف في اسمه : قال موسى بن عقبة : اسمه بشير – بمعجمة وزن عظيم – وكذا قال أبو الأسود عن عروة ، وقيل بالمهملة أوله ثم تحتانية ثانية ، وقال ابن إسحاق : اسمه رفاعة ، وكذا قال ابن نمير وغيره ، وذكر صاحب الكشّاف وغيره في تفسير سورة «الأنفال» أنّ اسمه مروان ، أحد النقباء ليلة العقبة ، يقال : مات في خلافة علي، وقال خليفة : مات بعد مقتل عثمان ، ويقال : عاش إلى بعد الخمسين[30] .

زَمِيلَيْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ : الزَّمِيل : العديل الذي حِمْله مع حملك على البعير ، وَقَدْ زَامَلَنِي: عادَلَني، والزَّمِيلُ أَيْضًا : الرَّفيق فِي السَّفر الَّذِي يُعِينك عَلَى أمورك ، وَهُوَ الرَّديف أَيْضًا[31] .

فَكَانَ إِذَا كَانَتْ عُقْبَةُ النَّبِيِّ ﷺ: أَيْ جاءَت نَوبَتُه[32]، أي نوبة رسول الله ﷺ في المشي .

قَالَا: ارْكَبْ حَتَّى نَمْشِيَ عَنْكَ : أي نمشي بدلًا عنك .

وَمَا أَنَا أَغْنَى عَنِ الْأَجْرِ مِنْكُمَا : أي في الآخرة .

المبحث الثاني

مسألة : هل كان أبو لبابة مع النبي ﷺ في غزوة بدر ؟

ذكره موسى بن عقبة في البدريين وقال : " ضرب له بسهمه وأجره "[33] .

قال ابن كثير : " قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: وَخَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي لَيَالٍ مَضَتْ مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ فِي أَصْحَابِهِ، وَاسْتَعْمَلَ ابْنَ أُمِّ مَكْتُومٍ عَلَى الصَّلَاةِ بِالنَّاسِ، وَرَدَّ أَبَا لُبَابَةَ مِنَ الرَّوْحَاءِ وَاسْتَعْمَلَهُ عَلَى الْمَدِينَة ، كَذَا قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى.

وَقَدْ قَالَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ : – وذكر حديث ابن مسعود ﷺ –

قُلْتُ: وَلَعَلَّ هَذَا كَانَ قَبْلَ أَنْ يَرُدَّ أَبَا لُبَابَةَ مِنَ الرَّوْحَاءِ، ثُمَّ كَانَ زَمِيلَاهُ عَلِيٌّ وَمَرْثَدٌ بَدَلَ أَبِي لُبَابَةَ ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ "[34] .

وقال ابن سيد الناس – بعد أن ذكر الحديث – :" وَالْمَعْرُوفُ أَنَّ أَبَا لُبَابَةَ رَجَعَ مِنْ بِئْرِ أَبِي عِنَبَةَ ، وَلَمْ يَصْحَبْهُمْ إِلَى بَدْرٍ، رَدَّهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَالِيًا عَلَى الْمَدِينَةِ "[35] .

فالذي يظهر – والله تعالى أعلم – أن أبا لبابة لم يشهد بدرًا ، لأن النبي ﷺ رده من الروحاء واستعمله على المدينة ، وأن هذا الحديث كان قبل رده ﷺ من الروحاء ، مع أن النبي ﷺ ضرب له بسهمه وأجره .

المبحث الثالث

المسائل الفقهية المستنبطة من الحديث

المسألة الأولى : جواز ركوب الرجل على بعير غيره لإرادة الغزو .

المسألة الثانية : جواز التعاقب على الدابة .

المسألة الثالثة : جواز تنازل الرجل عن حقه في الركوب .

المسألة الرابعة : جواز قسمة المهايأة – أي المناوبة – .

المسألة الخامسة : جواز ركوب ثلاثة وأكثر على الدابة إذا كانت تطيق .

الفصل الثالث

الفوائد المستنبطة من الحديث ، وفيه مباحث :

المبحث الأول : صفاته ﷺ

1- جهاده ﷺ: (ظهرت هذه الصفة فيه ﷺ في هذا الحديث من خلال خروجه مع أصحابه ﷺ للغزو) .

والجهاد ذروة سنام الإسلام ، وكان ﷺ يحث أصحابه على هذه العبادة العظيمة قولًا وعملًا ، فمن أقواله ﷺ كما في حديث أبي هريرة ﷺ قال : جَاءَ رَجُلٌ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ : دُلَّنِي عَلَى عَمَلٍ يَعْدِلُ الجِهَادَ ؟ قَالَ : (لاَ أَجِدُهُ) ، قَالَ : (هَلْ تَسْتَطِيعُ إِذَا خَرَجَ الُمجَاهِدُ أَنْ تَدْخُلَ مَسْجِدَكَ فَتَقُومَ وَلاَ تَفْتُرَ، وَتَصُومَ وَلاَ تُفْطِرَ ؟) ، قَالَ: وَمَنْ يَسْتَطِيعُ ذَلِكَ ؟[36] ، وغيره من الأحاديث .

وهو ﷺ كان يخرج بنفسه في الغزوات لجهاد المشركين ، ولإعلاء كلمة الله ، فجاهد في سبيل الله حق الجهاد حتى أتاه اليقين ، وقد غزا ﷺ تسع عشرة غزوة ، وتخلف عن بعض المعارك ليس زهدًا في الأجر ، ولكن رحمة بالمؤمنين ، يقول ﷺ كما في حديث أبي هريرة ﷺ: (وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْلاَ أَنَّ رِجَالًا مِنَ الُمؤْمِنِينَ لاَ تَطِيبُ أَنْفُسُهُمْ أَنْ يَتَخَلَّفُوا عَنِّي، وَلاَ أَجِدُ مَا أَحْمِلُهُمْ عَلَيْهِ مَا تَخَلَّفْتُ عَنْ سَرِيَّةٍ تَغْزُو فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوَدِدْتُ أَنِّي أُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، ثُمَّ أُحْيَا، ثُمَّ أُقْتَلُ، ثُمَّ أُحْيَا، ثُمَّ أُقْتَلُ، ثُمَّ أُحْيَا، ثُمَّ أُقْتَلُ)[37] .

2- تواضعه ﷺ : (ظهرت هذه الصفة فيه ﷺ في هذا الحديث من خلال ركوبه على الدابة، وتناوبه مع بعض أصحابه على الركوب) .

من الأخلاق التي عرف بها ﷺ خلق التواضع ، فكان خافض الجناح للصغير والكبير ، والذكر والأنثى ، والقريب والبعيد ، ولأهله وأصحابه ، بل حتى الصبي الصغير والجارية والعبد، وعندما ناداه رجل فقال : يا سيدنا وابن سيدنا وخيرنا وابن خيرنا ، قال ﷺ (يَا أَيُّهَا النَّاسُ عَلَيْكُمْ بِتَقْوَاكُمْ ، وَلَا يَسْتَهْوِيَنَّكُمْ الشَّيْطَانُ ، أَنَا مُحَمَّدُ ابْنُ عَبْدِ اللَّهِ ، عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ ، وَاللَّهِ مَا أُحِبُّ أَنْ تَرْفَعُونِي فَوْقَ مَنْزِلَتِي الَّتِي أَنْزَلَنِي اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ)[38] ، ومما يبين كمال تواضعه ﷺ ما جاء عن ابن عباس رضي الله عنهما : أَنَّ اللهَ أَرْسَلَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ مَلَكًا مِنَ الْمَلَائِكَةِ مَعَ الْمَلَكِ جِبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَقَالَ لَهُ الْمَلَكُ: يَا مُحَمَّدُ، إِنَّ اللهَ عَزَّ جَلَّ يُخَيِّرُكَ بَيْنَ أَنْ تَكُونَ نَبِيًّا عَبْدًا، أَوْ نَبِيًّا مَلِكًا، فَالْتَفَتَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِلَى جِبْرِيلَ كَالْمُسْتَشِيرِ، فَأَوْمَأَ إِلَيْهِ أَنْ تَوَاضَعْ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ:(بَلْ نَبِيًّا عَبْدًا)، فَمَا رُؤِيَ رَسُولُ اللهِ ﷺ أَكَلَ مُتَّكِئًا حَتَّى لَحِقَ بِرَبِّهِ[39] .

3- عدله ﷺ : (ظهرت هذه الصفة فيه ﷺ في هذا الحديث من خلال إلزام نفسه بالقيام بنفس العمل الذي يقوم به أصحابه من المشي وغيره ، وعدم تميزه عنهم) .

العدل خلق كريم ، وخلة عالية ، لا يستطيعها إلا الكبار ، وبها يطمئن كثير من المظلومين أن حقوقهم لن تضيع ، وقد كان هذا الخلق سجية من سجاياه ﷺ ، فقد كان ﷺ عدل في تعامله مع ربه عز وجل ، وفي تعامله مع نفسه ، وفي تعامله مع أزواجه، وفي تعامله مع أصحابه ، وفي تعامله مع أعدائه ، قال له رجل : يَا رَسُولَ اللهِ اعْدِلْ ، قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : (وَيْلَكَ وَمَنْ يَعْدِلُ إِنْ لَمْ أَعْدِلْ ؟ قَدْ خِبْتُ وَخَسِرْتُ إِنْ لَمْ أَعْدِلْ)[40] ، ومما يبين تطبيق هذا الخلق حتى على نفسه ﷺ ما جاء عن أبي سعيد الخدرى ﷺ قال : بَيْنَمَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَقْسِمُ قَسْمًا ، أَقْبَلَ رَجُلٌ فَأَكَبَّ عَلَيْهِ، فَطَعَنَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِعُرْجُونٍ[41] كَانَ مَعَهُ ، فَجُرِحَ بِوَجْهِهِ ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : (تَعَالَ فَاسْتَقِدْ[42])، فَقَالَ بَلْ عَفَوْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ[43] .

4- زهده ﷺ : (ظهرت هذه الصفة فيه ﷺ في هذا الحديث من خلال ركوبه على الدابة مع بعض أصحابه ، وهو أيضًا يمشي على قدميه في بعض الأحيان) .

الزهد هو الإعراض عن الشيء مع تيسره له ، أما من لم يتيسر له فلا يقال زاهد فيه ، وقد كان ﷺ أزهد الناس في الدنيا ، مع أنها كانت بين يديه ، ولو شاء لأجرى الله له الجبال ذهبًا وفضة ، قال ﷺ : (مَا يَسُرُّنِي أَنَّ عِنْدِي مِثْلَ أُحُدٍ هَذَا ذَهَبًا ، تَمْضِي عَلَيَّ ثَالِثَةٌ ، وَعِنْدِي مِنْهُ دِينَارٌ ، إِلَّا شَيْئًا أَرْصُدُهُ لِدَيْنٍ ، إِلَّا أَنْ أَقُولَ بِهِ فِي عِبَادِ اللَّهِ هَكَذَا وَهَكَذَا وَهَكَذَا) عَنْ

يَمِينِهِ، وَعَنْ شِمَالِهِ، وَمِنْ خَلْفِهِ[44] ، وكان يمر الهلال ثم الهلال ثم الهلال وما أوقدت في أبيات النبي ﷺ نار ، وكان طعامهم الأسودان: التمر والماء[45] .

5- قوته ﷺ : (ظهرت هذه الصفة فيه ﷺ في هذا الحديث من خلال قوله : (مَا أَنْتُمَا بِأَقْوَى عَلَى الْمَشْيِ مِنِّي)) .

أعطى الله سبحانه وتعالى نبيه محمدًا ﷺ قوة عظيمة لم يعطها رجل قبله ولا بعده ﷺ ، وقوته ﷺ كانت شاملة لجميع أنواع القوة الظاهرة والباطنة ، كانت قوته ﷺ الجسدية عظيمة جدًا ، بل ورد أنه أعطي قوة ثلاثين رجلًا ، قال أنس بن مالك ﷺ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَدُورُ عَلَى نِسَائِهِ فِي السَّاعَةِ الوَاحِدَةِ، مِنَ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، وَهُنَّ إِحْدَى عَشْرَةَ ، قَالَ: قُلْتُ لِأَنَسٍ أَوَكَانَ يُطِيقُهُ ؟ قَالَ : كُنَّا نَتَحَدَّثُ : أَنَّهُ أُعْطِيَ قُوَّةَ ثَلاَثِينَ[46] ، ومما يدلك على قوته ﷺ مصارعته لركانة – وهو الرجل الشديد الذي لم يصرعه أحد من قبل – فصرعه ﷺ[47] ، وعَرَضَتْ للصحابة رضوان الله عليهم يوم حفر الخندق كُدْيَةٌ شَدِيدَةٌ[48]، فَجَاءُوا النَّبِيَّ ﷺ فَقَالُوا: هَذِهِ كُدْيَةٌ عَرَضَتْ فِي الخَنْدَقِ، فَقَالَ: (أَنَا نَازِلٌ) ، ثُمَّ قَامَ وَبَطْنُهُ مَعْصُوبٌ بِحَجَرٍ، وَلَبِثْنَا ثَلاَثَةَ أَيَّامٍ لاَ نَذُوقُ ذَوَاقًا، فَأَخَذَ النَّبِيُّ ﷺ المِعْوَلَ[49] فَضَرَبَ، فَعَادَ كَثِيبًا أَهْيَلَ[50]، أَوْ أَهْيَمَ[51] .

6- حرصه ﷺ على تحصيل الأجر : (ظهرت هذه الصفة فيه ﷺ في هذا الحديث من خلال قوله : (وَمَا أَنَا أَغْنَى عَنِ الْأَجْرِ مِنْكُمَا) ، وخروجه بنفسه للغزو) .

مع أنه ﷺ غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر ، إلا أنه كان أكثر الخلق حرصًا على تحصيل الأجر من الله سبحانه وتعالى ، فهاهو ﷺ يقوم حتى تتفطر[52] قدماه[53] ، وقال أنس : كان رسول الله ﷺ يُفْطِرُ مِنَ الشَّهْرِ حَتَّى نَظُنَّ أَنْ لاَ يَصُومَ مِنْهُ، وَيَصُومُ حَتَّى نَظُنَّ أَنْ لاَ يُفْطِرَ مِنْهُ شَيْئًا، وَكَانَ لاَ تَشَاءُ أَنْ تَرَاهُ مِنَ اللَّيْلِ مُصَلِّيًا إِلَّا رَأَيْتَهُ، وَلاَ نَائِمًا إِلَّا رَأَيْتَهُ[54] ، وكان ﷺ يَذْكُرُ اللهَ عَلَى كُلِّ أَحْيَانِهِ[55] .

7- افتقاره ﷺ لربه عز وجل : (ظهرت هذه الصفة فيه ﷺ في هذا الحديث من خلال قوله: (وَمَا أَنَا أَغْنَى عَنِ الْأَجْرِ مِنْكُمَا)) .

الافتقار إلى الله سبحانه وتعالى مقام عالٍ لا يصل إليه إلا من حقق العبودية الكاملة لله سبحانه وتعالى ، ومَنَ أعظم تحقيقًا للعبودية منه ﷺ ؟ ، كان يدعوا ربه : (اللَّهُمَّ رَحْمَتَكَ أَرْجُو، فَلَا تَكِلْنِي إِلَى نَفْسِي طَرْفَةَ عَيْنٍ، وَأَصْلِحْ لِي شَأْنِي كُلَّهُ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ)[56]، وعندما عاد ﷺ من الطائف أخذ يدعوا بهذه الدعوات : (اللَّهُمَّ إِلَيْكَ أَشْكُو ضَعْفَ قُوَّتِي، وَقِلَّةَ حِيلَتِي، وَهَوَانِي عَلَى النَّاسِ، أَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ، إِلَى مَنْ تَكِلُنِي، إِلَى عَدُوٍّ يَتَجَهَّمُنِي[57] أَوْ إِلَى قَرِيبٍ مَلَّكْتَهُ أَمْرِي، إِنْ لَمْ تَكُنْ غَضْبَانَ عَلَيَّ فَلَا أُبَالِي، غَيْرَ أَنَّ عَافِيَتَكَ أَوْسَعُ لِي، أَعُوذُ بِنُورِ وَجْهِكَ الَّذِي أَشْرَقَتْ لَهُ الظُّلُمَاتُ، وَصَلَحَ عَلَيْهِ أَمْرُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، أَنْ تُنْزِلَ بِي غَضَبَكَ أَوْ تُحِلَّ عَلَيَّ سَخَطَكَ، لَكَ الْعُتْبَى حَتَّى تَرْضَى، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِكَ)[58] .

8- مشاركته ﷺ لأصحابه : (ظهرت هذه الصفة فيه ﷺ في هذا الحديث من خلال خروجه مع أصحابه للغزو ، وتناوبه مع بعضهم على ركوب الدابة) .

على الرغم من إنشغاله ﷺ بأمور الأمة العظيمة ، إلا أنه كان دائمًا مع أصحابه ﷺ يخالطهم ويعايشهم ويوجههم ويربيهم ، ويشترك معهم في الأعمال ، يعمل كما يعملون بل أكثر ، فلم يكن يكتفي بإصدار الأوامر والتوجيهات لأصحابه .

ها هو ﷺ يشارك أصحابه في بناء المسجد ، يقول أنس – وهو يحكي قصة بناء المسجد– : وَجَعَلُوا يَنْقُلُونَ الصَّخْرَ وَهُمْ يَرْتَجِزُونَ ، وَالنَّبِيُّ ﷺ مَعَهُمْ، وَهُوَ يَقُولُ: (اللَّهُمَّ لاَ خَيْرَ إِلَّا خَيْرُ الآخِرَهْ فَاغْفِرْ لِلْأَنْصَارِ وَالْمُهَاجِرَهْ)[59] ، وشاركهم ﷺ في حفر الخندق[60] ، وشاركهم في الجهاد ، وفي غيره من أمور حياتهم .

9- ترتيبه ﷺ لأصحابه : (ظهرت هذه الصفة فيه ﷺ في هذا الحديث من خلال ترتيبه لأصحابه في ركوب الدواب ، كل ثلاثة على بعير) .

كان ﷺ إذا أراد القيام بعمل من الأعمال أو بجهاد المشركين ، رتب أصحابه حسب المصلحة ، فيضع كل رجل في المكان الذي يناسبه ، ففي غزوة بدر يرسل بسبس بن عمرو عينًا ينظر ما صنعت عير أبي سفيان[61] ، ويخرج هو وأبو بكر لاستطلاع خبر المشركين[62] ، وأيضًا بَعْثه علي بن أبي طالب والزبير وسعد بن أبي وقاص في نفر من أصحابه إلى ماء بدر يلتمسون له الخبر عليه[63] ، وقبل القتال رتب رسول الله ﷺ المسلمين على هيئة صفوف الصلاة ، وهكذا في كل عمل أو غزوة كان ﷺ يرتب أصحابه بناء على إمكانيات الصحابي، وحسب المصلحة.

10- لطفه ﷺ في الحديث مع أصحابه : (ظهرت هذه الصفة فيه ﷺ في هذا الحديث من خلال رده على علي وأبي لبابة عندما طلبا منه أن يركب بدلًا عنهما) .

اعتاد الصحابة ﷺ من النبي ﷺ اللطف في العبارة عند التحدث معهم ، فلم يكن ﷺ يتلفظ على أحدهم بعبارة نابية ، تؤثر فيه ، بل كان يوجه بلطف ، ويعلم بلين، عن معاوية بن الحكم السلمي قال : بَيْنَا أَنَا أُصَلِّي مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ ، إِذْ عَطَسَ رَجُلٌ مِنَ الْقَوْمِ، فَقُلْتُ: يَرْحَمُكَ اللهُ، فَرَمَانِي الْقَوْمُ بِأَبْصَارِهِمْ، فَقُلْتُ: وَاثُكْلَ أُمِّيَاهْ[64]، مَا شَأْنُكُمْ تَنْظُرُونَ إِلَيَّ ؟ فَجَعَلُوا يَضْرِبُونَ بِأَيْدِيهِمْ عَلَى أَفْخَاذِهِمْ، فَلَمَّا رَأَيْتُهُمْ يُصَمِّتُونَنِي، لَكِنِّي سَكَتُّ، فَلَمَّا صَلَّى رَسُولُ اللهِ ﷺ ، فَبِأَبِي هُوَ وَأُمِّي، مَا رَأَيْتُ مُعَلِّمًا قَبْلَهُ وَلَا بَعْدَهُ أَحْسَنَ تَعْلِيمًا مِنْهُ، فَوَاللهِ، مَا كَهَرَنِي[65] وَلَا ضَرَبَنِي وَلَا شَتَمَنِي، قَالَ:(إِنَّ هَذِهِ الصَّلَاةَ لَا يَصْلُحُ فِيهَا شَيْءٌ مِنْ كَلَامِ النَّاسِ، إِنَّمَا هُوَ التَّسْبِيحُ وَالتَّكْبِيرُ وَقِرَاءَةُ الْقُرْآنِ)[66] ، وعندما قام الأَعْرَابِيُّ يَبُولُ فِي الْمَسْجِدِ، قَالَ أَصْحَابُ رَسُولِ اللهِ ﷺ : مَهْ مَهْ، قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : (لَا تُزْرِمُوهُ[67] دَعُوهُ)، فَتَرَكُوهُ حَتَّى بَالَ، ثُمَّ إِنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ دَعَاهُ فَقَالَ لَهُ : (إِنَّ هَذِهِ الْمَسَاجِدَ لَا تَصْلُحُ لِشَيْءٍ مِنْ هَذَا الْبَوْلِ، وَلَا الْقَذَرِ إِنَّمَا هِيَ لِذِكْرِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَالصَّلَاةِ وَقِرَاءَةِ الْقُرْآنِ)[68] .

المبحث الثاني : صفات الصحابة ﷺ

1- محبتهم للنبي ﷺ وتقديمه على أنفسهم : (ظهرت هذه الصفة فيهم ﷺ من خلال تقديم علي وأبي لبابة النبي ﷺ على أنفسهما في الركوب) .

محبة النبي ﷺ أصل من أصول الدين ، ولا يتم إيمان العبد حتى يحب النبي ﷺ، وقد قدم الصحابة ﷺ أروع الأمثلة في محبتهم للنبي ﷺ ، فضحوا بأموالهم وأنفسهم وأهليهم في سبيل الله ، ومحبة لنبيه ﷺ ، يقول عروة بن مسعود : وَاللَّهِ لَقَدْ وَفَدْتُ عَلَى الْمُلُوكِ، وَوَفَدْتُ عَلَى قَيْصَرَ، وَكِسْرَى، وَالنَّجَاشِيِّ، وَاللَّهِ إِنْ رَأَيْتُ مَلِكًا قَطُّ يُعَظِّمُهُ أَصْحَابُهُ مَا يُعَظِّمُ أَصْحَابُ مُحَمَّدٍ ﷺ مُحَمَّدًا، وَاللَّهِ إِنْ تَنَخَّمَ نُخَامَةً[69] إِلَّا وَقَعَتْ فِي كَفِّ رَجُلٍ مِنْهُمْ، فَدَلَكَ بِهَا وَجْهَهُ وَجِلْدَهُ، وَإِذَا أَمَرَهُمْ ابْتَدَرُوا أَمْرَهُ، وَإِذَا تَوَضَّأَ كَادُوا يَقْتَتِلُونَ عَلَى وَضُوئِهِ، وَإِذَا تَكَلَّمَ خَفَضُوا أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَهُ، وَمَا يُحِدُّونَ إِلَيْهِ النَّظَرَ تَعْظِيمًا لَهُ[70] .

2- جهادهم ﷺ : (ظهرت هذه الصفة فيهم ﷺ من خلال خروجهم مع النبي ﷺ إلى الغزو) .

عرف الصحابة ﷺ فضل الجهاد ومكانته في الإسلام ، فجاهدوا في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم، وكانوا يتنافسون في ذلك ، وضربوا للأمة أروع الأمثلة في الجهاد، ولعلي أن أقتصر على مثالين يبينان ما قاموا به ﷺ من جهـــاد في ســبيل الله ، أحدهما جهادهم بالنفس ، والآخر جهادهم بالمال، يقول أنس ﷺ : غَابَ عَمِّي أَنَسُ ابْنُ النَّضْرِ عَنْ قِتَالِ بَدْرٍ، فَقَالَ: يَـا رَسُولَ اللَّهِ غِبْتُ عَنْ أَوَّلِ قِتَالٍ قَاتَلْتَ الْمُشْرِكِينَ، لَئِنِ اللَّهُ أَشْهَدَنِي قِتَالَ الْمُشْرِكِينَ لَيَرَيَنَّ اللَّهُ مَا أَصْنَعُ ، فَلَمَّا كَانَ يَوْمُ أُحُدٍ، وَانْكَشَفَ الْمُسْلِمُونَ، قَالَ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَعْتَذِرُ إِلَيْكَ مِمَّا صَنَعَ هَؤُلاَءِ - يَعْنِي أَصْحَابَهُ - وَأَبْرَأُ إِلَيْكَ مِمَّا صَنَعَ هَؤُلاَءِ، - يَعْنِي الْمُشْرِكِينَ - ثُمَّ تَقَدَّمَ ، فَاسْتَقْبَلَهُ سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ، فَقَالَ: يَا سَعْدُ بْنَ مُعَاذٍ، الجَنَّةَ وَرَبِّ النَّضْرِ إِنِّي أَجِدُ رِيحَهَا مِنْ دُونِ أُحُدٍ ، قَالَ سَعْدٌ: فَمَا اسْتَطَعْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا صَنَعَ، قَالَ أَنَسٌ: فَوَجَدْنَا بِهِ بِضْعًا وَثَمَانِينَ ضَرْبَةً بِالسَّيْفِ أَوْ طَعْنَةً بِــرُمْحٍ، أَوْ رَمْيَةً بِسَهْمٍ ، وَوَجَدْنَاهُ قَدْ قُتِلَ وَقَدْ مَثَّلَ بِهِ الْمُشْرِكُونَ، فَمَا عَرَفَهُ أَحَدٌ إِلَّا أُخْتُهُ بِبَنَانِهِ[71] ، وأما جهادهم بالمال فعن عبـــد الرحمن بن سمرة قال : جَاءَ عُثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ بِأَلْفِ دِينَارٍ فِي ثَوْبِهِ ، حِينَ جَهَّزَ النَّبِيُّ ﷺ جَيْشَ الْعُسْرَةِ ، قَـــالَ: فَصَبَّهَا فِي حِجْرِ النَّبِيِّ ﷺ، فَجَعَلَ النَّبِيُّ ﷺ يُقَلِّبُهَا بِيَدِهِ وَيَقُولُ : (مَا ضَرَّ ابْنُ عَفَّانَ مَا عَمِلَ بَعْدَ الْيَوْمِ) يُرَدِّدُهَا مِرَارًا[72] .

3- تواضعهم ﷺ : (ظهرت هذه الصفة فيهم ﷺ من خلال ركوبهم الدابة ، وتناوبهم مع بعضهم على الركوب) .

رأى الصحابة ﷺ رسولهم ﷺ متواضعًا فأقتدوا به في ذلك ، فكانوا ﷺ قمة في التواضع وعدم الكبر ، فهذا عمر بن الخطاب ﷺ يضرب لنا مثالًا رائعًا في ذلك ، يقول طارق بن شهاب: خَرَجَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ إِلَى الشَّامِ وَمَعَنَا أَبُــو عُبَيْــدَةَ بْــنُ الْجَرَّاحِ فَأَتَوْا عَلَى مَخَاضَةٍ[73] وَعُمَرُ عَلَى نَاقَةٍ لَهُ فَنَزَلَ عَنْهَا وَخَلَعَ خُفَّيْهِ فَوَضَعَهُمَا عَلَى عَاتِقِهِ، وَأَخَذَ بِزِمَامِ نَاقَتِهِ فَخَاضَ بِهَا الْمَخَاضَةَ، فَقَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْتَ تَفْعَلُ هَذَا، تَخْلَعُ خُفَّيْكَ وَتَضَعُهُمَا عَلَى عَاتِقِــكَ، وَتَأْخُــذُ بِزِمَــامِ نَاقَتِكَ، وَتَخُوضُ بِهَا الْمَخَاضَةَ؟ مَا يَسُرُّنِي أَنَّ أَهْلَ الْبَلَدِ اسْتَشْرَفُوكَ[74]، فَقَالَ عُمَرُ: أَوَّهْ[75] لَمْ يَقُلْ ذَا غَيْرُكَ أَبَا عُبَيْــدَةَ جَعَلْتُهُ نَكَالًا[76] لِأُمَّةِ مُحَمَّدٍ ﷺ إِنَّا كُنَّا أَذَلَّ قَوْمٍ فَأَعَزَّنَا اللَّهُ

بِالْإِسْلَامِ فَمَهْمَا نَطْلُبُ الْعِزَّةَ بِغَيْرِ مَا أَعَزَّنَا اللَّهُ بِهِ أَذَلَّنَا اللَّهُ[77] .

4- زهدهم ﷺ : (ظهرت هذه الصفة فيهم ﷺ من خلال ركوبهم الدابة ، وتناوبهم على الركوب) .

من الصفات التي كان النبي ﷺ يربي عليها أصحابه ﷺ صفة الزهد ، فكان يقول لأحدهم: (كُنْ فِي الدُّنْيَا كَأَنَّكَ غَرِيــبٌ أَوْ عَابِرُ سَبِيلٍ)[78]، ويقول لهم أيضًا : (وَاللهِ مَا الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا مِثْلُ مَا يَجْعَلُ أَحَدُكُمْ إِصْبَعَهُ هَذِهِ - وَأَشَارَ يَحْيَــى بِالسَّبَّابَةِ - فِي الْيَمِّ، فَلْيَنْظُرْ بِمَ تَرْجِعُ؟)[79] ، قال الحسن : " وَاللهِ لَقَدْ أَدْرَكْتُ سَبْعِينَ بَدْرِيًّا أَكْثَرُ لِبَاسِهِمُ الصُّوفُ وَلَــوْ رَأَيْتُمُوهُمْ قُلْتُمْ: مَجَانِينُ، وَلَوْ رَأَوْا خِيَارَكُمْ لَقَالُوا: مَا لِهَؤُلَاءِ مِنْ خَلَاقٍ، وَلَوْ رَأَوْا شِرَارَكُمْ لَقَالُوا: مَا يُؤْمِنُ هَؤُلَاءِ بِيَــوْمِ الْحِسَابِ، وَلَقَدْ رَأَيْتُ أَقْوَامًا كَانَتِ الدُّنْيَا أَهْوَنَ عَلَى أَحَدِهِمْ مِنَ التُّرَابِ تَحْتَ قَدَمَيْهِ ، وَلَقَدْ رَأَيْتُ أَقْوَامًا يُمْسِي أَحَدُهُمْ وَمَا يَجِدُ عِنْدَهُ إِلَّا قُوتًا ، فَيَقُولُ : لَا أَجْعَلُ هَذَا كُلَّهُ فِي بَطْنِي، لَأَجْعَلَنَّ بَعْضَهُ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ، فَيَتَصَدَّقُ بِبَعْضِهِ ، وَإِنْ كَانَ هُوَ أَحْوَجَ مِمَّنْ يَتَصَدَّقُ بِهِ عَلَيْهِ "[80] .

5- طلبهم ﷺ للأجر : (ظهرت هذه الصفة فيهم ﷺ من خلال رغبة علي وأبي لبابة أن يمشيا بدلًا عن النبي ﷺ ، ومـــن خلال خروجهم معه ﷺ للغزو) .

كل من يقرأ في سيرة صحابة رسول الله ﷺ ورضي عنهم لا تخطئ عيناه ما كان يقوم به هؤلاء الأصحاب ﷺ من أعمال ابتغاء ما عند الله والدار الآخرة ، بل إن بعضهم كان ينافس البعض الآخر في طلب الأجر، عن أبي هريرة ﷺ : أَنَّ فُقَرَاءَ الْمُهَاجِرِينَ أَتَوْا رَسُولَ اللهِ ﷺ فَقَالُوا: ذَهَبَ أَهْلُ الدُّثُورِ[81] بِالدَّرَجَاتِ الْعُلَى، وَالنَّعِيمِ الْمُقِيمِ، فَقَالَ: (وَمَا ذَاكَ؟) قَالُوا:

يُصَلُّونَ كَمَا نُصَلِّي، وَيَصُومُونَ كَمَا نَصُومُ، وَيَتَصَدَّقُونَ وَلَا نَتَصَدَّقُ، وَيُعْتِقُونَ وَلَا نُعْتِقُ، فَقَالَ رَسُــولَ اللهِ ﷺ : (أَفَلَـــا أُعَلِّمُكُمْ شَيْئًا تُدْرِكُونَ بِهِ مَنْ سَبَقَكُمْ وَتَسْبِقُونَ بِهِ مَنْ بَعْدَكُمْ؟ وَلَا يَكُونُ أَحَدٌ أَفْضَلَ مِنْكُمْ إِلَّا مَنْ صَنَعَ مِثْلَ مَا صَنَعْتُمْ) ، قَالُوا: بَلَى يَا رَسُولُ اللهِ ، قَالَ: (تُسَبِّحُونَ، وَتُكَبِّرُونَ، وَتَحْمَدُونَ، دُبُرَ كُلِّ صَلَاةٍ ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ مَرَّةً) ، قَالَ أَبُو صَـــالِحٍ: فَرَجَعَ فُقَرَاءُ الْمُهَاجِرِينَ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ فَقَالُوا: سَمِعَ إِخْوَانُنَا أَهْلُ الْأَمْوَالِ بِمَا فَعَلْنَا، فَفَعَلُوا مِثْلَهُ، فَقَالَ رَسُولِ اللهِ ﷺ : (ذَلِكَ فَضْلُ اللهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ)[82] .

6- استجابتهم ﷺ لترتيب النبي ﷺ : (ظهرت هذه الصفة فيهم ﷺ من خلال سيرهم إلى الغزو كما رتبهم ﷺ) .

خاطب ربنا عز وجل عباده المؤمنين بالاستجابة له ولرسوله ﷺ ، فقال سبحانه ﭽ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﭼ (الأنفال: ٢٤) ففهم الصحابة ﷺ هذا الخطاب ، وطبقوه في حياتهم ، فكان لا يدعوهم ﷺ لأمر إلا بادروا بتطبيقه ، ومن هذه الأوامر التي كان يأمر بها النبي ﷺ صحابته — وكان الصحابة ﷺ يبادرون بالتطبيق — الترتيب حال الانطلاق إلى الجهاد في سبيل الله ، وفي أرض المعركة ، قال عبد الرحمن بن عوف ﷺ : عَبَّأَنَا[83] النَّبِيُّ ﷺ بِبَدْرٍ لَيْلاً[84] ، وعن أبي أسيد ﷺ قال: قال النبي ﷺ يَوْمَ بَدْرٍ، حِينَ صَفَفْنَا لِقُرَيْشٍ وَصَفُّوا لَنَا: (إِذَا أَكْثَبُوكُمْ[85] فَعَلَيْكُمْ بِالنَّبْلِ)[86] .

7- بعدهم ﷺ عن الجدل وسكوتهم عند وضوح الحجة : (ظهرت هذه الصفة فيهم ﷺ من خلال صمتهم عندما بين لهم النبي ﷺ السبب الذي يجعله يمشي مثلهما) .

الجدل هو اللدد في الخصومة والقدرة عليها[87] ، والجدل الأصل أنه مذموم في كتاب الله، وقد ورد في خمسة وعشـــرين موضعًا في كتاب الله ، ولم يمدح الجدل إلا إذا قيد بالحسنى ، والصحابة ﷺ كانوا من أشد الناس بعدًا عن الجدل المذموم ، الذي لا يوصل إلى الحق ، لما يورثه من الضغينة والكراهية بينهم ، وإذا ظهرت الحجة وبان الدليل ، تــراهم يصـــمتون ، ويسلمون لما جاء من الحق .

المبحث الثالث : الدروس التربوية المستفادة من الحديث

1- أثر التربية بالقدوة في نفوس الأفراد :

الإسلام كما نعلم انتشر في كثير من بلدان العالم بسبب التعامل الحسن الذي كان يتعامل به المسلمون مع غيرهم ، فــأثّر هذا التعامل تأثيرًا كبيرًا في المجتمعات غير المسلمة ، ودخلوا في دين الله أفواجًا ، وأكبر مثال على ذلك انتشار الإسلام في الشرق الأقصى ، الذي سكانه يمثلون أكثر من ثلث سكان العالم ، والدعوة بالقدوة الصالحة تعتبر من أقوى الوســائل في التأثير في المدعوين ، فهي أقوى بكثير من الكلمات التي يلقيها الداعية ، ومن الأوراق التي يسطر فيها توجيهاته ، والداعية الذي يريد لدعوته النجاح فليهتم بهذا الأمر اهتمامًا بالغًا ، وليبدأ بنفسه فيصلحها ، ويزكيهـــا ، ويرقيهـــا في درجـــات العبودية ، ويركز على جوانب الإيمان ، والإخلاص لله سبحانه وتعالى ، وموافقة القول العمل ، وحسن الخلق .

2- مشاركة المتربين في العمل :

من الأمور المهمة التي ينبغي للداعية مراعاتها، مشاركته للمدعوين في ميدان العمل، فهذا مما يرفع قيمة الداعية لدى المدعوين، ويعلي من شأنه عندهم، ويشعرون أنه واحد منهم، وهذا مما يـــدفعهم لمزيد من البذل والهمة والحماس، وقد شارك النبي ﷺ أصحابه في بناء المسجد، وفي حفر الخندق، وفي غيرها من الأعمال، وهو من هو ﷺ في المكانة عند ربه وعند الخلق، فالواجب على الدعاة والمربين أن يقتفوا طريقه ﷺ في ذلك، ولا يكتفـــوا

بإصدار الأوامر والتوجيهات لمن يربوهم، فكل واحد يستطيع إصدار الأوامر، ولكن الكبار هم الذين يشاركون من يدعوهم في الأعمال .

3- حرص الداعية على طلب الأجر :

ابتغاء الأجر من الله سبحانه وتعالى مطلب كل مسلم ، لأنه الحافز للعمل ، وعلى المسلم أن لا يألوا جهدًا في الاجتهاد في العبادة ، ومسابقة أهل الفضل إلى الله ، والتنافس في الخيرات ، والمبادرة بالأعمال ، قال الحسن : " لاَ يَجْعَلُ اللَّهُ عَبْدًا أَسْرَعَ إِلَيْهِ كَعَبْدٍ أَبْطَأَ عَنْهُ "[88] ، هذا ما ينبغي أن يحرص عليه كل مسلم ، والداعية من باب أولى ، فينبغي للداعية أن يكون أكثر حرصًا على طلب الأجر ، والمنافسة في الأعمال الصالحة ، واختيار الأعمال الأكثر أجرًا .

4- أن الجهاد والأمور الكبيرة لا تشغل الداعية عما دونها من أعمال الخير :

لا شك أن القائد والداعية ، كلاهما يقوم بأعمال عظيمة ، فأحدهما يتنقل بين

جهاد أعداء الله ، وسياسة الناس ، وإدارة مصالحهم ، والآخر يتنقل بين التعليم ، والتوجيه، والإصلاح، وغيرها من الأعمال العظيمة، وهما – أي القائد أو الداعية – مع انشغالهما بهذه الأعمال الكبيرة، قد تمر بهما بعض الأعمال اليسيرة، فينبغي لهما استغلالها والاستفادة منها، ومافيها من أجر، والسلف الصالح مع كثرة انشغالهم بطلب العلم وتعليمه للناس ، إلا أنهم كانت لهم عبادات يخصون بها أنفسهم .

المبحث الرابع : قواعد عامة

1- لا إيثار في القربات :

العلماء رحمهم الله تعالى حيال هذه القاعدة على ثلاثة أقوال :

أ- فمنهم من يرى أن هذه القاعدة على إطلاقها ، بل هي من المسلمات ،

قال السيوطي : " الْقَاعِدَةُ الثَّالِثَةُ: الْإِيثَارُ فِي الْقُرْبِ مَكْرُوهٌ وَفِي غَيْرِهَا مَحْبُوبٌ ، قَالَ تَعَالَى : {وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ} [الحشر: 9] ، قَالَ الشَّيْخُ عِزُّ الدِّينِ: لَا إيثَارَ فِي الْقُرُبَاتِ، فَلَا إيثَارَ بِمَاءِ الطَّهَارَةِ، وَلَا بِسَتْرِ الْعَوْرَةِ وَلَا بِالصَّفِّ الْأَوَّلِ ؛ لِأَنَّ الْغَرَضَ بِالْعِبَادَاتِ: التَّعْظِيمُ، وَالْإِجْلَالُ. فَمَنْ آثَرَ بِهِ، فَقَدْ تَرَكَ إجْلَالَ الْإِلَهِ وَتَعْظِيمِهِ "[89] .

وقال النووي : " وَقَدْ نَصَّ أَصْحَابُنَا وَغَيْرُهُمْ من العلماء على أنه لايؤثر فِي الْقُرَبِ ، وَإِنَّمَا الْإِيثَارُ الْمَحْمُودُ مَا كَانَ فِي حُظُوظِ النَّفْسِ دُونَ الطَّاعَاتِ ، قَالُوا : فَيُكْرَهُ أَنْ يُؤْثِرَ غَيْرَهُ بِمَوْضِعِهِ مِنَ الصَّفِّ الْأَوَّلِ ، وَكَذَلِكَ نَظَائِرُهُ "[90] .

ويستدلون بحديث سهل بن سعد ﷺ : أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أُتِيَ بِشَرَابٍ، فَشَرِبَ مِنْهُ، وَعَنْ يَمِينِهِ غُلاَمٌ، وَعَنْ يَسَارِهِ الأَشْيَاخُ، فَقَالَ لِلْغُلاَمِ:(أَتَأْذَنُ لِي أَنْ أُعْطِيَ هَؤُلاَءِ؟) ، فَقَالَ الغُلاَمُ:

لاَ وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ، لاَ أُوثِرُ بِنَصِيبِي مِنْكَ أَحَدًا، قَالَ: فَتَلَّهُ[91] رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي يَدِهِ[92] .

ب- ومنهم من يرى عدم صحة هذه القاعدة ، قال ابن القيم : " وَقَوْلُ مَنْ قَالَ مِنَ الْفُقَهَاءِ: لَا يَجُوزُ الْإِيثَارُ بِالْقُرَبِ لَا يَصِحُّ ، وَقَدْ آثَرَتْ عائشة عُمَرَ بْنَ الْخَطَّاب بِدَفْنِهِ فِي بَيْتِهَا جِوَارَ النَّبِيِّ ﷺ ، وَسَأَلَهَا عمر ذَلِكَ فَلَمْ تَكْرَهْ لَهُ السُّؤَالَ، وَلَا لَهَا الْبَذْلَ، وَعَلَى هَذَا فَإِذَا سَأَلَ الرَّجُلُ غَيْرَهُ أَنْ يُؤْثِرَهُ بِمَقَامِهِ فِي الصَّفِّ الْأَوَّلِ، لَمْ يُكْرَهْ لَهُ السُّؤَالُ، وَلَا لِذَلِكَ الْبَذْلُ وَنَظَائِرُهُ.

وَمَنْ تَأَمَّلَ سِيرَةَ الصَّحَابَةِ، وَجَدَهُمْ غَيْرَ كَارِهِينَ لِذَلِكَ، وَلَا مُمْتَنِعِينَ مِنْهُ، وَهَلْ هَذَا إِلَّا كَرَمٌ وَسَخَاءٌ، وَإِيثَارٌ عَلَى النَّفْسِ، بِمَا هُوَ أَعْظَمُ مَحْبُوبَاتِهَا، تَفْرِيحًا لِأَخِيهِ الْمُسْلِمِ، وَتَعْظِيمًا لِقَدْرِهِ، وَإِجَابَةً لَهُ إِلَى مَا سَأَلَهُ، وَتَرْغِيبًا لَهُ فِي الْخَيْرِ، وَقَدْ يَكُونُ

ثَوَابُ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْ هَذِهِ الْخِصَالِ رَاجِحًا عَلَى ثَوَابِ تِلْكَ الْقُرْبَةِ، فَيَكُونُ الْمُؤْثِرُ بِهَا مِمَّنْ تَاجَرَ فَبَذَلَ قُرْبَةً وَأَخَذَ أَضْعَافَهَا، وَعَلَى هَذَا فَلَا يَمْتَنِعُ أَنْ يُؤْثِرَ صَاحِبُ الْمَاءِ بِمَائِهِ أَنْ يَتَوَضَّأَ بِهِ وَيَتَيَمَّمَ هُوَ إِذَا كَانَ لَا بُدَّ مِنْ تَيَمُّمِ أَحَدِهِمَا، فَآثَرَ أَخَاهُ وَحَازَ فَضِيلَةَ الْإِيثَارِ وَفَضِيلَةَ الطُّهْرِ بِالتُّرَابِ، ... ، وَهَلْ إِهْدَاءُ الْقُرَبِ الْمُجْمَعِ عَلَيْهَا وَالْمُتَنَازَعِ فِيهَا إِلَى الْمَيِّتِ إِلَّا إِيثَارٌ بِثَوَابِهَا، وَهُوَ عَيْنُ الْإِيثَارِ بِالْقُرَبِ، فَأَيُّ فَرْقٍ بَيْنَ أَنْ يُؤْثِرَهُ بِفِعْلِهَا لِيُحْرِزَ ثَوَابَهَا، وَبَيْنَ أَنْ يَعْمَلَ ثُمَّ يُؤْثِرَهُ بِثَوَابِهَا، وَبِاللَّهِ التَّوْفِيقُ "[93] ، وقال ابن نجيم : " عَنْ النِّصَابِ : وَإِنْ سَبَقَ أَحَدٌ بِالدُّخُولِ إلَى الْمَسْجِدِ مَكَانَهُ فِي الصَّفِّ الْأَوَّلِ ، فَدَخَلَ رَجُلٌ أَكْبَرُ مِنْهُ سِنًّا ، أَوْ أَهْلُ عِلْمٍ، يَنْبَغِي أَنْ يَتَأَخَّرَ وَيُقَدِّمَهُ تَعْظِيمًا لَهُ اهـ، قَالَ : فَهَذَا مُفِيدٌ لِجَوَازِ الْإِيثَارِ فِي الْقُرَبِ عَمَلًا بِعُمُومِ قَوْله تَعَالَى: {وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ} [الحشر: 9] إلَّا إذَا قَامَ دَلِيلُ تَخْصِيصٍ"[94] .

ت- ومنهم من فصل بين القرب الواجبة والقرب المستحبة ، قال الشيخ ابن عثيمين: " الإيثار بالقرب على نوعين: النوع الأول: القرب الواجبة: فهذه لا يجوز الإيثار بها، ومثاله رجل معه ماء يكفي لوضوء رجل واحد فقط، وهو على غير وضوء، وصاحبه الذي معه على غير وضوء ففي هذه الحال لا يجوز أن يؤثر صاحبه بهذا الماء؛ لأنه يكون قد ترك واجباً عليه وهو الطهارة بالماء، فالإيثار في الواجب حرام .

وأما الإيثار بالمستحب فالأصل فيه أنه لا ينبغي، بل صرح بعض العلماء بالكراهة، وقالوا: إن إيثاره بالقرب يفيد أنه في رغبة عن هذه القرب، لكن الصحيح أن الأولى عدم الإيثار، وإذا اقتضت المصلحة أن يؤثر فلا بأس، مثل أن يكون أبوه في الصف الثاني وهو في الصف الأول، ويعرف أن أباه من الرجال الذين يكون في نفوسهم شيء إذا لم يقدمهم الولد، فهنا نقول: الأفضل أن تقدم والدك، أما إذا كان من الآباء الطيبين الذين لا تهمهم مثل هذه الأمور فالأفضل أن يبقى في مكانه، ولو كان والده في الصف الثاني، وكذلك بالنسبة للعالم"[95] .

والذي يظهر – والله تعالى أعلم – هو عدم جواز الإيثار بالقرب، إلا إذا ترتب على عدم الإيثار مفسدة ، فهنا نقول بالجواز في المستحبات.

وأما ماذكره ابن القيم رحمه الله تعالى من الاستدلال بحديث عائشة رضي الله عنها فقد ذكر هو رحمه الله في مدارج السالكين رد الفقهاء على الاستدلال بهذا الحديث ، فقال : " وَأَجَابُوا عَنْهُ بِأَنَّ الْمَيِّتَ يَنْقَطِعُ عَمَلُهُ بِمَوْتِهِ وَبِقُرْبِهِ. فَلَا يُتَصَوَّرُ فِي حَقِّهِ الْإِيثَارُ بِالْقُرَبِ بَعْدَ الْمَوْتِ. إِذْ لَا تَقَرُّبَ فِي حَقِّ الْمَيِّتِ. وَإِنَّمَا هَذَا إِيثَارٌ بِمَسْكَنٍ شَرِيفٍ فَاضِلٍ لِمَنْ هُوَ أَوْلَى بِهِ مِنْهَا. فَالْإِيثَارُ بِهِ قُرْبَةٌ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ لِلْمُؤْثِرِ. وَاللَّهُ أَعْلَمُ "[96] .

وقال رحمه الله : " وَكُلُّ سَبَبٍ يَعُودُ عَلَيْكَ بِصَلَاحِ قَلْبِكَ وَوَقْتِكَ وَحَالِكَ مَعَ اللَّهِ: فَلَا تُؤْثِرْ بِهِ أَحَدًا. فَإِنْ آثَرْتَ بِهِ فَإِنَّمَا تُؤْثِرُ الشَّيْطَانَ عَلَى اللَّهِ، وَأَنْتَ لَا تَعْلَمُ "[97] .

2- أمور الدنيا مبنية على التكامل بين الناس وأمور الآخرة مبنية على التنافس :

أمور الدنيا وأعمالها تقوم على التكامل بين أفراد المجتمع ، كل له مهمة محددة يكمل بعضهم بعضًا ، والناس بمجموعهم تقوم حياتهم على التكامل لا على الصراع، فالمسلم يحب لأخيه المسلم مايحب لنفسه ، فهم كالبنيان المرصوص ، وكالجسد الواحد ، يكمل بعضهم بعضا ، فلا يمكن للفرد الواحد أن يصنع كل احتياجاته ، بل هو يصنع حاجة من حاجاته ، ويحتاج للآخرين الذين يكملون له هذه الحاجات ، وبهذا تقوم الحياة ، عن أبي موسى، قال: قال رسول الله ﷺ

: (إِنَّ الْأَشْعَرِيِّينَ إِذَا أَرْمَلُوا[98] فِي الْغَزْوِ، أَوْ قَلَّ طَعَامُ عِيَالِهِمْ بِالْمَدِينَةِ، جَمَعُوا مَا كَانَ عِنْدَهُمْ فِي ثَوْبٍ وَاحِدٍ، ثُمَّ اقْتَسَمُوهُ بَيْنَهُمْ فِي إِنَاءٍ وَاحِدٍ، بِالسَّوِيَّةِ، فَهُمْ مِنِّي وَأَنَا مِنْهُمْ)[99] .

هذا فيما يتعلق بأمور الدنيا ، أما ما يتعلق بأمور الآخرة فإن الإنسان مطالب بالتنافس والمسارعة والمسابقة في الخيرات ، وطلب الدرجات العلى ، والقرب من الله سبحانه وتعالى .

قال تعالى : ﭽ ﭬ ﭭ ﭼ (البقرة: ١٤٨) ، ويقول جل شأنه ﭽﭙ ﭼ (آل عمران: ١٣٣)، ويقول جل ذكره : ﭽ ﮒ ﭼ (الحديد: ٢١) .

وعن أبي هريرة: أن رسول الله ﷺ قال: (لَوْ يَعْلَمُ النَّاسُ مَا فِي النِّدَاءِ وَالصَّفِّ الأَوَّلِ، ثُمَّ لَمْ يَجِدُوا إِلَّا أَنْ يَسْتَهِمُوا[100] عَلَيْهِ لاَسْتَهَمُوا، وَلَوْ يَعْلَمُونَ مَا فِي التَّهْجِيرِ[101] لاَسْتَبَقُوا إِلَيْهِ، وَلَوْ يَعْلَمُونَ مَا فِي العَتَمَةِ[102] وَالصُّبْحِ، لَأَتَوْهُمَا وَلَوْ حَبْوًا)[103] .

3- أن الركوب لا ينافي الزهد والتقلل من الدنيا :

المطلوب من المسلم الزهد في الدنيا ، وعدم التعلق بها ، لأجل أن لا تضر بآخرته، والزهد في الدنيا ترك مالا نفع فيه في الآخرة ، قال ابن القيم : " الزّهْد ترك مَالا ينفع فِي الْآخِرَة "[104] ، والزهد في الدنيا لا يستلزم ترك المباحات ، من ملبوس ومركوب ومأكول وغيرها ، وإنما العبرة بحال القلب وتعلقه ، قال شيخ الإسلام ابن تيمية : " إذا سلم فيه القلب من الهلع ، واليد من العدوان ، كان صاحبه محمودًا ، وإن كان معه مال عظيم ، بل قد يكون مع هذا زاهدًا أزهد من فقير هلوع "[105] ، وقال ابن عثيمين : " وليس الزهد أنه لا يلبس الثياب الجميلة، ولا يركب السيارات الفخمة، وإنما يتقشف ويأكل الخبز بلا إدام وما أشبه ذلك، ولكن يتمتع بما أنعم الله عليه، لأن الله يحب أن يرى أثر نعمته على عبده، وإذا تمتع بالملاذ على هذا الوجه صار نافعاً له في الآخرة، ولهذا لا تغتر بتقشف الرجل ولبسه رديء الثياب، فربَّ حية تحت القش، ولكن عليك بعمله وأحواله "[106] .

4- أن المشي فيه مزيد أجر لزيادة مشقته على الركوب :

من الأمور المقررة في الشريعة أن الشارع لا يقصد بالتكليف المشقة ، بل يريد ما فيه مصلحة للعبد في الدنيا والآخرة ، قال تعالى : ﭽ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﭼ (البقرة: ١٨٥) ، ويقول جل شأنه ﭽ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﭼ (الحج: ٧٨) .

وقال ﷺ : (إِنَّ الدِّينَ يُسْرٌ، وَلَنْ يُشَادَّ[107] الدِّينَ أَحَدٌ إِلَّا غَلَبَهُ)[108] ، وقد يكون من مصلحة العبد تكليفه بما فيه مشقة ، كتكليفه بالجهاد ، لكن الشارع في هذه الحالة رتب له زيادة أجر ، إذن فليس للعبد أن يقصد المشقة لعظم أجرها ، لأن الشارع لم يرغبه في هذا ، ولكن له أن يقصد العمل الذي يعظم أجره لعظم مشقته ، قال الشاطبي : " الْمَشَقَّةَ لَيْسَ لِلْمُكَلَّفِ أَنْ يَقْصِدَهَا فِي التَّكْلِيفِ نَظَرًا إِلَى عِظَمِ أَجْرِهَا، وَلَهُ أَنْ يَقْصِدَ الْعَمَلَ الَّذِي يَعْظُمُ أَجْرُهُ لِعِظَمِ مَشَقَّتِهِ مِنْ حَيْثُ هُوَ عَمَلٌ.

أَمَّا هَذَا الثَّانِي؛ فَلِأَنَّهُ شَأْنُ التَّكْلِيفِ فِي الْعَمَلِ كُلِّهِ؛ لِأَنَّهُ إِنَّمَا يَقْصِدُ نَفْسَ الْعَمَلِ الْمُتَرَتِّبِ عَلَيْهِ الْأَجْرُ، وَذَلِكَ هُوَ قَصْدُ الشَّارِعِ بِوَضْعِ التَّكْلِيفِ بِهِ، وَمَا جَاءَ عَلَى مُوَافَقَةِ قَصْدِ الشَّارِعِ هُوَ الْمَطْلُوبُ.

وَأَمَّا الْأَوَّلُ؛ فَإِنَّ الْأَعْمَالَ بِالنِّيَّاتِ، وَالْمَقَاصِدُ مُعْتَبَرَةٌ فِي التَّصَرُّفَاتِ كَمَا يُذْكَرُ فِي مَوْضِعِهِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ فَلَا يَصْلُحُ مِنْهَا إِلَّا مَا وَافَقَ قَصْدَ الشَّارِعِ، فَإِذَا كَانَ قَصْدُ الْمُكَلَّفِ إِيقَاعَ الْمَشَقَّةِ، فَقَدْ خَالَفَ قَصْدَ الشَّارِعِ مِنْ حَيْثُ إِنَّ الشَّارِعَ لَا يَقْصِدُ بِالتَّكْلِيفِ نَفْسَ الْمَشَقَّةِ، وَكُلُّ قَصْدٍ يُخَالِفُ قَصْدَ الشَّارِعِ باطل، فالقصد إلى المشقة باطل ، فهو إذن مِنْ قَبِيلِ مَا يُنْهَى عَنْهُ، وَمَا يُنْهَى عَنْهُ لَا ثَوَابَ فِيهِ، بَلْ فِيهِ الْإِثْمُ إِنِ ارْتَفَعَ النَّهْيُ عَنْهُ إِلَى دَرَجَةِ التَّحْرِيمِ، فَطَلَبُ الْأَجْرِ بِقَصْدِ الدُّخُولِ فِي الْمَشَقَّةِ قَصْدٌ مناقض"[109] .

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية : " فَكَثِيرًا مَا يَكْثُرُ : الثَّوَابُ عَلَى قَدْرِ الْمَشَقَّةِ وَالتَّعَبِ، لَا لِأَنَّ التَّعَبَ وَالْمَشَقَّةَ مَقْصُودٌ مِنْ الْعَمَلِ، وَلَكِنْ لِأَنَّ الْعَمَلَ مُسْتَلْزِمٌ لِلْمَشَقَّةِ وَالتَّعَبِ ، هَذَا فِي شَرْعِنَا الَّذِي رُفِعَتْ عَنَّا فِيهِ الْآصَارُ وَالْأَغْلَالُ ، وَلَمْ يُجْعَلْ عَلَيْنَا فِيهِ حَرَجٌ ، وَلَا أُرِيدَ بِنَا فِيهِ الْعُسْرُ"[110] .

والمشي إلى الطاعة عبادة في نفسه ، فإذا كان هذا المشي فيه مشقة ، ترتب عليه زيادة أجر ، قال ﷺ : (أَعْظَمُ النَّاسِ أَجْرًا فِي الصَّلَاةِ أَبْعَدُهُمْ فَأَبْعَدُهُمْ مَمْشًى)[111] .

5- جواز إخبار الإنسان عما يجد في نفسه من القوة والعلم ونحوهما عند الحاجة :

إخبار الإنسان عن نفسه ومدحه لها على ضربين ، ممدوح ومذموم ، فالمذموم أن يمدح نفسه على سبيل التطاول ، والتفاخر ، والتميز على الأقران ، والتوصل إلى مالا يستحق ، وشبه ذلك ، وقد جاء ذم مثل هذا الفعل في كتاب الله في أكثر من موضع ، قال تعالى : ﭽ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﭼ (النجم: ٣٢) ، والممدوح أن يكون في مدحه لنفسه مصلحة شرعية ، من التحدث بنعمة الله عليه، أو تنشيط غيره على مثل ما كان عليه ، وغير ذلك ، وقد جاء في هذا المعنى نصوص كثيرة ، فمن ذلك ، قوله جل شأنه على لسان يوسف ﷺ : ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﭼ (يوسف: ٥٥) .

وقوله ﷺ: (أَنَا سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَأَوَّلُ مَنْ يَنْشَقُّ عَنْهُ الْقَبْرُ، وَأَوَّلُ شَافِعٍ وَأَوَّلُ مُشَفَّعٍ)[112] وقوله : (أَمَا وَاللَّهِ إِنِّي لَأَخْشَاكُمْ لِلَّهِ وَأَتْقَاكُمْ لَهُ)[113]، وغيرها كثير.

قال النسفي " وهذا إذا كان على سبيل الإعجاب أو الرياء ، لا على سبيل الاعتراف بالنعمة فإنه جائز ، لأن المسرة بالطاعة طاعة ، وذكرها شكر "[114] .

وقال الشيخ ابن عثيمين : " فالأحوال إذن في مثل هذا الكلام الذي فيه ثناء المرء على نفسه أربع : الحالة الأولى: أن يريد بذلك التحدث بنعمة الله عليه فيما حباه به من الإيمان والثبات.

الحالة الثانية: أن يريد بذلك تنشيط أمثاله ونظائره على مثل ما كان عليه.

فهاتان الحالتان محمودتان ، لما يشتملان عليه من هذه النية الطيبة.

الحالة الثالثة: أن يريد بذلك الفخر والتباهي والإدلال على الله – عز وجل- بما هو عليه من الإيمان والثبات ، وهذا غير جائز لما ذكرنا من الآية .

الحالة الرابعة: أن يريد بذلك مجرد الخبر عن نفسه بما هو عليه من الإيمان والثبات، فهذا جائز ولكن الأولى تركه "[115] .

الخاتمة

في نهاية هذا البحث أحب أن أشير إلى بعض النتائج التي توصلت إليها :

1- حديث عبد الله بن مسعود ﷺ : كُنَّا يَوْمَ بَدْرٍ كُلُّ ثَلَاثَةٍ عَلَى بَعِيرٍ ..) ، حديث حسن .

2- أبو لبابة ﷺ لم يكن مع النبي ﷺ في غزوة بدر .

3- اشتمل هذا الحديث على جملة من المسائل الفقهية ، وعددها خمس مسائل .

4- أن هذا الحديث اشتمل على ست وعشرين فائدة ، وتفصيلها كما يلي :

أ- صفاته ﷺ : عشر صفات ، وهي على النحو التالي : جهاده، تواضعه، عدله، زهده، قوته، حرصه على تحصيل الأجر، افتقاره لربه عز وجل، مشاركته لأصحابه، ترتيبه لأصحابه، لطفه في الحديث مع أصحابه .

ب- صفات الصحابة ﷺ : سبع صفات ، وهي على النحو التالي : محبتهم للنبي ﷺ وتقديمه على أنفسهم، جهادهم، تواضعهم، زهدهم، طلبهم للأجر، استجابتهم لترتيب النبي ﷺ، بعدهم عن الجدل وسكوقم عند وضوح الحجة .

ت- الدروس التربوية المستفادة من الحديث : أربعة دروس ، وهي على النحو التالي : الداعية القدوة، مشاركة المتربين في العمل، حرص الداعية على طلب الأجر، الجهاد والأمور الكبيرة لا تشغل الداعية عما دونها من أعمال الخير.

ث- قواعد عامة : خمس قواعد ، وهي على النحو التالي : لا إيثار في القربات ، أمور الدنيا مبنية على التكامل بين الناس وأمور الآخرة مبنية على التنافس، أن الركوب لا ينافي الزهد والتقلل من الدنيا ، أن المشي فيه مزيد أجر لزيادة مشقته على الركوب ، جواز إخبار الإنسان عما يجد في نفسه من القوة والعلم ونحوهما عند الحاجة .

ثبت المصادر والمراجع

---

(1) المسند (7/ 17، 112) حديث رقم (3901، 4010) .

(2) المرجع السابق (7/ 75) حديث رقم (3965) .

(3) المرجع السابق (7/ 111) حديث رقم (4009) .

(4) المرجع السابق (7/ 127) حديث رقم (4029) .

(5) المسند (1/ 277) حديث رقم (352) .

(6) السنن الكبرى (5/ 258) حديث رقم (10657) ، والآداب (ص: 266) حديث رقم (649) .

(7) الطبقات الكبرى (2/ 21) ، وغزوات الرسول ﷺ وسراياه (ص13) .

(8) المسند (1/ 266) حديث رقم (399) .

(9) بغية الباحث عن زوائد مسند الحارث (2/ 697) حديث رقم (682)

(10) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (6/ 254) .

(11) البحر الزخار (5/ 210) حديث رقم (1813) .

(12) السنن الكبرى (8/ 109) حديث رقم (8756) .

(13) المسند (9/ 242) حديث رقم (5359) .

(14) المسند (2/ 114) حديث (639) .

(15) الصحيح (11/ 35) حديث رقم (4733) .

(16) دلائل النبوة (3/ 39) .

(17) المستدرك على الصحيحين (2/ 111) حديث رقم (2508) .

(18) المرجع السابق (3/ 25) حديث رقم (4358) .

(19) شرح السنة (11/ 35) حديث رقم (2686) ، الأنوار في شمائل النبي المختار (ص: 307) حديث رقم (400) .

(20) المنتقى من مسموعاته بمرو (مخطوط) (ق 29 / 1) .

(21) (396/10) .

(22) ينظر : تاريخ ابن معين رواية الدارمي (ص: 49) ، العلل ومعرفة الرجال رواية عبد الله (2/ 131) ، معرفة الثقات (ص:131) ، تهذيب الكمال في أسماء الرجال (7/ 253) ، شرح علل الترمذي (1/ 414) و(2/ 690، 707) ، تهذيب التهذيب (3/ 11) ، تقريب التهذيب (ص: 268) ، وغيرها .

(23) ينظر : الطبقات الكبرى (6/ 316) ، من كلام أبي زكريا يحيى بن معين في الرجال (ص: 64) ، العلل ومعرفة الرجال رواية عبد الله (420/1) ، سؤالات أبي داود للإمام أحمد (ص: 293) ، الضعفاء لأبي زرعة الرازي (3/ 885) ، معرفة الثقات (ص:239) ، المعرفة والتاريخ (3/ 197) ، الجرح والتعديل (6/ 340) ، الثقات لابن حبان (7/ 256) ، سؤالات البرقاني للدارقطني (ص: 49) ، تاريخ أسماء الثقات (ص:150) ، تهذيب الكمال في أسماء الرجال (13/ 473) ، سير أعلام النبلاء (256/5) ، من تكلم فيه وهو موثق (ص:279) ، ميزان الاعتدال (2/ 357) ، شرح علل الترمذي (2/ 788) ، تهذيب التهذيب (5/ 38) ، تقريب التهذيب (ص: 471) ، بحر الدم فيمن تكلم فيه الإمام أحمد بمدح أو ذم (ص: 80)، وغيرها .

(24) ينظر : الطبقات الكبرى (6/ 104- 105) ، معرفة الثقات (ص: 165) ، الجرح والتعديل (3/ 622) ، تهذيب الكمال في أسماء الرجال (9/ 335) ، تهذيب التهذيب (3/ 321) ، تقريب التهذيب (ص: 336) ، وغيرها .

(25) المستدرك على الصحيحين (3/ 25) .

(26) المرجع السابق (111/2) .

(27) مجمع الزوائد (6/ 87) .

(28) سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها (5/ 326) حديث رقم (2257) .

(29) فتح الباري (10/ 396) .

(30) الطبقات لخليفة بن خياط (ص: 152) ، الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل (2/ 203) ، الإصابة في تمييز الصحابة (7/ 289-290) .

(31) النهاية في غريب الحديث والأثر (2/ 313) .

(32) المرجع السابق (3/ 268) .

(33) المغازي (ص157) .

(34) البداية والنهاية (3/ 319).

(35) عيون الأثر (1/ 287) .

(36) أخرجه البخاري (4/ 15) حديث رقم (2797) ، ومسلم (1498/3) حديث رقم (1878)

(37) أخرجه البخاري (4/ 17) حديث رقم (2785) ، ومسلم (1497/3) حديث رقم (1876)

(38) أخرجه الإمام أحمد في المسند (20/ 23) حديث رقم (12551) ، و(21/ 166، 216) حديث رقم (13529، 13596) ، والنسائي في السنن الكبرى (9/ 103) حديث رقم (10006، 10007) ، وفي عمل اليوم والليلة (ص: 249-250) حديث رقم (248-249) ، وغيرهما من حديث أنس ﷺ ، وإسناده صحيح .

(39) أخرجه الطبراني في الكبير (10/ 288) حديث رقم (10686) ، وغيره ، وإسناده ضعيف .

(40) أخرجه البخاري (4/ 200) حديث رقم (3610) ، ومسلم (2/ 744) حديث رقم (1064) من حديث أبي سعيد الخدري ﷺ ، وأخرجه مسلم (2/ 740) حديث رقم (1063) من حديث جابر ﷺ .

(41) وَهُوَ العُود الأصْفر الَّذِي فِيهِ شَمَاريخ العِذْق . النهاية في غريب الحديث والأثر (3/ 203)

(42) القَوَد: القِصاص . النهاية في غريب الحديث والأثر (4/ 119) .

(43) أخرجه أبو داود (4/ 182) حديث رقم (4536) ، والنسائي (8/ 32) حديث رقم (4773) ، والإمام أحمد (327/17) حديث رقم (11229) ، وغيرهم ، وإسناده ضعيف ، ويرتقي إلى درجة الحسن لغيره .

(44) أخرجه البخاري (8/ 94) حديث رقم (6444) من حديث أبي ذر ﷺ ، وأخرجه البخاري أيضًا (9/ 83) حديث رقم (7228) ، ومسلم (2/ 687) حديث رقم (991) من حديث أبي هريرة ﷺ .

(45) أخرجه البخاري (3/ 153) حديث رقم (2567) ، و(8/ 97) حديث رقم (6459) ، ومسلم (4/ 2283) حديث رقم (2972) .

(46) أخرجه البخاري (1/ 62) حديث رقم (268) .

(47) أخرجه أبو داود (4/ 55) حديث رقم (4078) ، والترمذي (3/ 300) حديث رقم (1784) ، وغيرهما ، عن محمد بن علي بن ركانة ، وحسنه الألباني في إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل (5/ 329) .

(48) الكُدْيَة: قِطْعة غَلِيظَةٌ صُلْبة لَا تَعْمَل فِيهَا الفَأس . النهاية في غريب الحديث والأثر (4/ 156)

(49) المِعْوَلُ بالْكَسْرِ: الفأسُ . النهاية في غريب الحديث والأثر (4/ 344)

(50) أَيْ رَمْلاً سَائِلا . النهاية في غريب الحديث والأثر (5/ 289)

(51) أخرجه البخاري (5/ 108) حديث رقم (4101) ، من حديث جابر ﷺ .

(52) أَيْ : تتشقَّقَ . النهاية في غريب الحديث والأثر (3/ 458) .

(53) أخرجه البخاري (2/ 50) حديث رقم (1130) ، و(6/ 135) حديث رقم (4836) ، و(8/ 99) حديث رقم (6471) ، ومسلم (4/ 2171) حديث رقم (2819) ، من حديث المغيرة ﷺ ، وأخرجه البخاري (6/ 135) حديث رقم (4837) ، ومسلم (4/ 2172) حديث رقم (2820) من حديث عائشة رضي الله عنها .

(54) أخرجه البخاري (2/ 52) حديث رقم (1141) ، و(3/ 39) حديث رقم (1972) .

(55) أخرجه مسلم (1/ 282) حديث رقم (373) ، من حديث عائشة رضي الله عنها .

(56) أخرجه أبو داود (4/ 324) حديث رقم (5090) ، وغيره ، وحسنه الألباني في صحيح الأدب المفرد (ص: 260) ، من حديث أبي بكرة ﷺ .

(57) أَيْ : يَلْقاني بالغِلْظة وَالْوَجْهِ الْكَرِيهِ . النهاية في غريب الحديث والأثر (1/ 323) .

(58) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (14/ 139) حديث رقم (14764) ، والدعاء (1282/2) حديث رقم (1036) ، من حديث عبد الله بن جعفر ﷺ ، وإسناده ضعيف .

(59) أخرجه البخاري (1/ 93) حديث رقم (428) ، و(5/ 67) حديث رقم (3932) ، ومسلم (1/ 373) حديث رقم (524) ، و(3/ 1431) حديث رقم (1805) .

(60) سبق تخريج حديث حفر الخندق عند الحديث عن قوته ﷺ .

(61) أخرجه مسلم (3/ 1509) حديث رقم (1901) .

(62) سيرة ابن هشام (1/ 616) .

(63) المرجع السابق .

(64) الثُّكْل: فقْد الْوَلَدِ. النهاية في غريب الحديث والأثر (1/ 217)

(65) الكَهْر: الانْتِهار. النهاية في غريب الحديث والأثر (4/ 212)

(66) أخرجه مسلم (1/ 381) حديث رقم (537) .

(67) أَيْ لَا تَقْطعوا عَلَيْهِ بَولَه . النهاية في غريب الحديث والأثر (2/ 301)

(68) أخرجه البخاري (12/8) حديث رقم (6025)، ومسلم (1/ 236) حديث رقم (285)،من حديث أنس ﷺ.

(69) النُّخَامَةُ: البَزْقَة الَّتِي تَخْرُج مِنْ أَقْصَى الحَلْق . النهاية في غريب الحديث والأثر (5/ 34)

(70) أخرجه البخاري (3/ 193) حديث رقم (2731) .

(71) أخرجه البخاري (4/ 19) حديث رقم (2805) ، ومسلم (3/ 1512) حديث رقم (1903) .

(72) أخرجه الإمام أحمد (34/ 231-232) حديث رقم (20630)، وحسنه الألباني في تحقيقه لمشكاة المصابيح (1713/3).

(73) المَخاضة : الْمَوْضِعُ الذي فيه ماء . لسان العرب (7/ 147)

(74) أَيْ خرجْوا إِلَى لِقَائِك . النهاية في غريب الحديث والأثر (2/ 462)

(75) أوه : كَلِمَةٌ يَقُولُهَا الرَّجُلُ عِنْدَ الشِّكَايَةِ وَالتَّوَجُّع . النهاية في غريب الحديث والأثر (1/ 82)

(76) نَكَّلَ بِهِ تَنْكيلا، ونَكَّلَ بِهِ، إِذَا جَعَلَهُ عِبْرةً لِغَيْرِهِ. والنَّكَالُ: الْعُقُوبَةُ الَّتِي تَنْكُلُ الناسَ عَنْ فِعل مَا جُعِلَت لَهُ جَزاءً. النهاية في غريب الحديث والأثر (5/ 117)

(77) أخرجه الحاكم في المستدرك (1/ 130) حديث رقم (207) ، وقال : " هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ الشَّيْخَيْنِ " ، ووافقه الذهبي ، ووافقهما الألباني كما في السلسلة الصحيحة (1/ 118) .

(78) أخرجه البخاري (8/ 89) حديث رقم (6416) ، من حديث عبد الله بن عمر ﷺ .

(79) أخرجه مسلم (4/ 2193) حديث رقم (2858) ، من حديث المستورد ﷺ .

(80) أخرجه أبو الفضل الزهري في حديثه (ص: 582) حديث رقم (598) ، وابو نعيم في حلية الأولياء (2/ 134) .

(81) الدُّثُورُ: جَمْعُ دَثْرٍ، وَهُوَ المالُ الكثيرُ . النهاية في غريب الحديث والأثر (2/ 100)

(82) أخرجه البخاري (1/ 168) حديث رقم (843) ، و(8/ 72) حديث رقم (6329) ، ومسلم (1/ 416-417) حديث رقم (595)

(83) يُقَالُ: عَبَأْتُ الجَيْشَ عَبْأً، وعَبَّأْتُهُم تَعْبِئَة وتَعْبِيئاً، وَقَدْ يُتْرَك الْهَمْزُ فَيُقَالُ: عَبَّيْتُهُم تَعْبِيَة: أَيْ رَتَّبْتُهم فِي مواضِعِهم وهيَّأْتُهم للحَرْب . النهاية في غريب الحديث والأثر (3/ 168)

(84) أخرجه الترمذي (3/ 246) حديث رقم (1677) ، قال الألباني في ضعيف سنن الترمذي (ص: 192) : " ضعيف الإسناد " .

(85) يُقَالُ: كَثَب وأَكْثَب إِذَا قارَب ، والكَثَبُ: القُرْب . النهاية في غريب الحديث والأثر (4/ 151)

(86) أخرجه البخاري (4/ 38) حديث رقم (2900) ، و(5/ 78) حديث رقم (3984- 3985) .

(87) لسان العرب (11/ 105) .

(88) أخرجه الإمام أحمد في الزهد (1/ 221) حديث رقم (593) .

(89) الأشباه والنظائر (ص: 116) .

(90) شرح مسلم (13/ 201) .

(91) أَيْ أَلْقاه . النهاية في غريب الحديث والأثر (1/ 195) .

(92) أخرجه البخاري (3/ 130، 161) حديث رقم (2451، 2602) ، و(7/ 111) حديث رقم (5620) .

(93) زاد المعاد في هدي خير العباد (3/ 442) .

(94) البحر الرائق شرح كتر الدقائق ومنحة الخالق (1/ 375) .

(95) لقاء الباب المفتوح (35/ 28) .

(96) (2/ 284) .

(97) المرجع السابق .

(98) أي : نَفِدَ زادُهم . النهاية في غريب الحديث والأثر (2/ 265)

(99) أخرجه البخاري (3/ 138) حديث رقم (2486) ، ومسلم (4/ 1944) حديث رقم (2500) .

(100) أي : يقترعوا . النهاية في غريب الحديث والأثر (2/ 429)

(101) التَّهْجيرُ: التَّبْكِيرُ إِلَى كُلِّ شَيْءٍ والمُبادَرَة إِلَيْهِ. يُقَالُ: هَجَّرَ يُهَجِّرُ تَهْجِيراً، فَهُوَ مُهَجِّرٌ، وَهِيَ لُغَةٌ حجازِيَّة، أرادَ المبادَرة إِلَى أوَّلِ وَقْتِ الصَّلَاةِ. النهاية في غريب الحديث والأثر (5/ 246)

(102) أي : الدخول فِي عَتَمَةِ اللّيل وهي ظلمته. والمراد صَلاَةَ الْعِشَاءِ . النهاية في غريب الحديث (3/ 180)

(103) أخرجه البخاري (1/ 126، 132، 133) حديث رقم (615، 653، 654) ، و(3/ 182) حديث رقم (2689) ، ومسلم (1/ 325) حديث رقم (437) .

(104) الفوائد (ص: 118) .

(105) المستدرك على مجموع الفتاوى (1/ 163) .

(106) شرح الأربعين النووية (ص: 322) .

(107) أي يُكلّف نفْسَه مِنَ الْعِبَادَةِ فِيهِ فوْق طاقَته ، والْمُشَادَدَةُ: المُغالَبة . النهاية في غريب الحديث والأثر (2/ 451)

(108) أخرجه البخاري (1/ 16) حديث رقم (39) ، من حديث أبي هريرة ﷺ .

(109) الموافقات (2/ 222) .

(110) مجموع الفتاوى (10/ 622) .

(111) أخرجه البخاري (1/ 131) حديث رقم (651)، ومسلم (1/ 460) حديث رقم (662)، من حديث أبي موسى ﷺ.

(112) أخرجه مسلم (4/ 1782) حديث رقم (2278) ، من حديث أبي هريرة ﷺ .

(113) أخرجه البخاري (7/ 2) حديث رقم (5063) ، من حديث أنس ﷺ .

(114) تفسير النسفي (4/ 157) .

(115) المناهي اللفظية (ص: 49- 50)